عليها والاقتباس منها في كتاباتهم ، وان تكون مكتبتنا الناشئة قدوة للمكتبات العربية (وبالفعل، وفي اجتماع للمكتبات العربية ، اعتبرت مكتبة مركز الابحاث انموذجا للمكتبة المختصة) ، من جهة ، ومصدر ازعاج للعدو ، من جهة اخرى (وقد عبر العدو ، منذ أيام فقط ، عن انزعاجه هذا بأربعة صواريخ أخطأ أحدها ونجحت ثلاثة منها في اتلاف ربع محتويات المكتبة) . واهم من ان يصدر المركز ثلاثماية كتاب في اقل من عشر سنوات هو ان يعالج باحثو المركز هذه القضايا بمنتهى الموضوعية ، وان يلتزموا بأساليب البحث العلمي ، وان يخوضوا مواضيع لم يجرؤ أحد من قبل على الاقتراب منها ، وان يعرفوا القارىء على العدو لاول مرة . واهم من ان يصدر من شؤون فلسطينية اربعون عددا تضم الف مقال وتقرير ، هو ان تكون المجلة منبرا حرا للفكر الواعي يتسابق الى اعتلائه الكتاب من كافة الاتجاهات والجنسيات (بينهم عدد لا بأس به من اليهود غير الصهيونيين) ، وان تنقد نفسها والمركز الذي تصدر عنه ، وان تظهر في مطلع كل شهر بانتظام . واهم من ان يعمل في المركز حاليا اربعة عشر باحثا هو ان يكون المركز قد تعهد ، وخرّج ، اضعاف هذا الرقم من الباحثين ، الذين أصبح بعضهم ، وبفضل رعاية المركز له ، في مصاف كبار الكتاب الاختصاصيين في القضية الفلسطينية ــ وقد تتلمذوا على المركز وفيه عبروا مرحلة الاختبار وهو الذي تعهد انتاجهم .

حقيقة مركز الابحاث ، اذن ، لا تكشف عنها الارقام ، على أهمية الارقام . بل هي تتم في التعرف على التجارب التي مر بها ، وفي الريادة التي حققها ، وفي التقاليد التي ارساها في عشرة اعوام فقط .

لقد بدأ مركز الابحاث من الصفر ، تقريبا .

ففي حقل التوثيق لم يكن في الوطن العربي كله من خليجه الى محيطه ، وبعد سبعين سنة من قيام المنظمة الصهيونية العالمية ، بنشاطاتها ومؤامراتها واستعانتها بالعلم والثقافة ، وبنجاحها في استلاب فلسطين واجزاء اخرى من الوطن العربي ، وتهديد سائر انحاء هذا الوطن تهديدا مباشرا عسكريا وسياسيا واقتصاديا وثقافيا ، لم يكن في الوطن العربي ، قبل تأسيس مركز الابحاث في فبراير ١٩٦٥ ، مكتبة واحدة مختصة بالقضية الفلسطينية . لم يكن هناك ما يسمى بالمكتبة الفلسطينية . ولم يكن هناك ما يسمى بفهرس الكتب الفلسطينية .

وكان الكتاب الفلسطيني ، قبل ١٩٦٥ ، في حالة مزرية من الضعف ، ومع ان عدد الكتب التي صدرت من قبل لم يكن قليلا فقد اتصف معظمها بالسطحية في المعالجة والهزال في الغرض ، والضعف في التحليل . كما اتصفت بالمقاربة العاطفية وبندرة المصادر وبالغوغائية . وكانت أعجز من ان تعطي ثقافة واعية للقارىء العربي او اعلاما جيدا للقارىء الاجنبي .

وكان الباحث الفلسطيني « قطعا نادرا » ، قليل العدد وصعب الحصول عليه . وكان المتخصصون اقل بكثير من الحد الادنى المطلوب لتغطية الحاجة . وبدلا منهم ، كثر عدد المبتدئين والمتمرنين والهواة ، الذين افتقد اغلبهم الى الثقافة الصحيحة في القضية والى المعلومات الاساسية ، وخاصة عن العدو .

واذا كان المركز قد بدأ من الصفر تقريبا في بناء مكتبة وفي نشر الكتاب واعداد الكاتب ، فلقد بدأ من تحت الصفر في موضوع الكتابة عن « اسرائيل » بشكل خاص . فعلى صعيد المكتبة والكتاب والكاتب ، الفلسطيني ، وجد المركز فراغا وشرع في املائه . اما على صعيد دراسة العدو بالذات فقد وجد المركز جدارا بناه المواطن ،